

# سوريا

## آذار راب

### 2011 - 2014



## طرطوس.. النازحون والشهداء غيروا المدينة

لا يسبق القرية في عدد النازحين، سوى بلدة مشتى الحلو، التي تعد أكبر تجمع للوافدين الحمصيين، وفيما تلقب طرطوس بـ «مدينة الـ 2010» كناية عن عدم حصول أحداث عنف فيها، فهي لا تحتفظ من لقبها إلا بالمفاخرة بإعلانها في ذلك العام مدينة خالية من الأمية، إلا أن حياة أهلها تغيرت نهائياً. كل بيت في المدينة الساحلية الصغيرة قدّم شهيداً أو أكثر. الوجوه المكفّهرة التي يمكن أن تلمحها بين المارة في الشارع، تشي بأحزان أصحابها وشظف عيشهم. يفاخر أبناء حي الغمقة الشرقية بين أحياء طرطوس بعدد شهدائهم. منازل عدة بمحاذاة بعضها البعض تكوّن الحي الشهير، قدّمت 52 شهيداً عسكرياً على مدار ثلاث سنوات. بينما قدّمت حارة الشارع العريض، على الكورنيش البحري، وحدها، 50 شهيداً. يبلغ عدد شهداء طرطوس 3400، حسب الإحصائيات المتداولة. ويزيد عدد جرحى المدينة على 3000. يحمل شاب عدداً من المملصات، ويباشر لصق ورقة نعي على أحد جدران حي الشارع العريض. يتجمهر حوله عدد من السكان لمعرفة اسم الشهيد. قدّمت المدينة 390 شهيداً مدنياً في كل من عدرا وحمص ودير الزور ودمشق، فيما عدد مخطوفها يبلغ 1800 ما بين مدني وعسكري. التكافل الاجتماعي لمساعدة عائلة الشهيد لافّت في المدينة. بهذا يرد

النازحون وأهالي طرطوس على السواء. تنشيط المنطقة الهادئة، كان أمراً مستبعداً في السابق، إلا أن تأجيرها للنازحين بمبالغ باهظة، جعل الأخيرين مطالبين بتنشيط المنطقة لتحسين مستواهم المعيشي، وهذا ما كان. بعض أبناء حلب نقلوا معاملهم إلى طرطوس، التي لم يكن يتجاوز عدد سكانها 800 ألف، ما غير رتبة أيامها. «الحلبيون أصبحوا أكثر من الطرطوسيين في السوق المركزي»، يقول خالد، تاجر ستيني من طرطوس. ويضيف: «تراوح مبالغ الإيجارات شهرياً، بين 15 ألفاً في المناطق الشعبية حتى 25 ألفاً في الأحياء الراقية».

### التسابق إلى الشهادة

في مقبرة الشهداء الجديدة، القريبة من منطقة الشيخ سعد، ترقد 350 جثة مجهولة الهوية، ينتمي أصحابها إلى جميع الطوائف. تحمل إحدى النساء البخور وتدور به بين قبور الشهداء المجهولين. تجيب على السؤال عن قبر ابنها، بالقول: «كلهم أولادي». وتضيف، معززة بالأمل: «ربما يكون في أحد هذه القبور». يقم عدد كبير من النازحين في قرية الشيخ سعد، التي لا تبعد عن طرطوس أكثر من 3 كلم شرقاً. معظم النازحين في القرية من مناطق حمص الساخنة، إذ يتجاوز عددهم 10 آلاف، من أصل 450 ألف نازح في طرطوس بكاملها.

ثلاث سنوات من عمر الحرب في سوريا، تجعل من يمشي في طرطوس، يظن نفسه في حلب. لا يعكر صفو حياة سكان المدينة سوى أصوات الرصاص المعلن عن قدوم دفعة جديدة من الشهداء

### طرطوس - مرح ماشي

الدخول إلى منطقة بصيرة، شمال مدينة طرطوس، سيجعلك تشك في كل معلوماتك عن المدينة الساحلية. فالمنطقة المؤجرة للنازحين الحلبيين قد تغيرت معالمها، وأصبحت أكثر حيوية. المزرعة التابعة لقرية متن الساحل، التي تبعد عن مركز مدينة طرطوس 11 كلم فقط، أصبحت عبارة عن تجمع كثيف لسكان «غرباء عن المدينة». في الشقة البحرية يعيش أكثر من 30 شخصاً. يتوسط المنطقة مركز كبير لبيع وشراء المواد الأساسية. سقف المركز غطاء بلاستيكي، تنضوي تحته جميع أصناف المواد التي يحتاجها

## «كاتالوغ إسقاط النظام» تعلم «الثورة» من دون معلم!

يقول الشاب، متوقفاً عند فقرة تنص على «ضرورة إرسال عرائض على شكل بيانات موقعة موجهة إلى الخصم ظاهرياً، لكنها موجهة فعلياً إلى الجمهور. مع الحرص على كون الموقعين من الشخصيات المرموقة ذات التأثير المجتمعي». كما يركز الكتاب على «إحياء الأغاني المقاومة التي تحققت عادة قبولا وانتشارا واسعاً». ويقول مازن: «كلنا عشنا المشاعر التي أجنحتها أغنية سمح شقير «يا حيف» وأغاني القاشوش والساوت».

«اتصالات حسين جبيري الشهيرة بالمسؤولين والسخرية منهم نص عليها الكتاب أيضاً». يقول مازن، ثم يقرأ بندا عن «ملاحقة المسؤولين عبر الاتصال بهم والضغط عليهم والسخرية منهم». ويضيف الناشط «المعتزل»: «حتى تظاهرات الطناجر التي راجت في فترة من الفترات موجودة في الكتاب»، لافتاً إلى فقرة تحض على «الطرق على الأواني المنزلية لجذب

التطبيق الدقيق لما جاء في الكتيب. انقسمنا إلى وحدات محلية وأخرى عالمية (يشرح الكتاب أنها عابرة للحدود تكون حيث يسود المناخ السياسي الحر). كانت مهمتنا في الوحدات المحلية القيام بخطوات تظهر الحراك على نحو جاذب. ليأتي دور الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي بعدها». يتوقف عند فقرة في الكتاب تؤكد «وجوب الاعتماد على شعارات جاذبة للجمهور وقريبة من كلامه»، ويستذكر عشرات الشعارات المصوغة بعناية لجعلها قريبة من كلام الجماهير (الشعب السوري ما بينذل، الله سوريا حرية وبس، الموت ولا المذلة، إلخ). ويشير إلى مواضع في الكتاب تتحدث عن ضرورة «الإكثار من كتابة الشعارات على الجدران»، والتركيز على «السخرية من الخصم»، لافتاً إلى ظاهرة لافتات كفر نبل في هذا السياق.

### «بيان الحليب» و«يا حيف»

«لا أحد يمكنه إنكار أثر بيان الحليب».

تلك الفترة، بدأت علاقتي بسالم. وعبر فايسبوك كنا ننخرط في نقاشات طويلة حول الوضع في سوريا. رأى سالم في ملامح سوريا الجديدة. ثم زودني كتيباً مهماً، وطلب مني قراءته بتركيز شديد».

تحول الكتيب لاحقاً إلى محور نقاشاتهما الدائمة. ثنائياً أول الأمر، ثم عبر مجموعة مغلقة على فايسبوك ضمتهما وأخرين. «بدأ من أواخر كانون الثاني 2011 كنا نبحث دائماً في تطبيق الأفكار الواردة فيه على أرض الواقع. كان سالم ينقل كل فترة توجيهات لا تعرف مصدرها بالانتقال من مرحلة إلى أخرى». ويضيف: «زعم سالم بأنه وضع هذا الكتيب بالتعاون مع عدد من الشبان السوريين»، لكن مازن اكتشف لاحقاً أن الكتيب لم يكن سوى تلخيص لكتاب «أسلحة حرب الألعنف» لثلاثة مؤلفين، أحدهم صهر الشيخ يوسف القرضاوي.

يقول مازن: «كل ما كان علينا فعله هو

### صهيب عنجربني

من المسلّم به أن أعداداً كبيرة من المنخرطين في التظاهرات ضد النظام في سوريا، خلال الشهور الأولى من عمر الأزمة خصوصاً، خرجوا من تلقاء أنفسهم، مدفوعين بعوامل موضوعية كثيرة، لكن بعيداً من نظرية المؤامرة، هل سار الحراك وفق تطور عفوي، أم بمنهجية مدروسة وموجهة؟ «لا شيء تحركه الصدفة»، يقول مازن، وهو أحد الناشطين الذين كانت لهم مساهمات فعالة في بدايات التظاهر قبل أن يقرر «الاعتزال»، وينتقل للعيش خارج سوريا. ويضيف: «تخرّجت من كلية الحقوق في جامعة دمشق عام 2008. وبقيت مثل كثيرين بلا عمل. كان كل شيء في سوريا يخلق شعوراً بالقهر: الفساد والقمع والوضع الاقتصادي». مع بدايات موجة «الربيع العربي» أظهر مازن حماسة كبيرة، عبر مواقع التواصل الاجتماعي. «في

ثلاث سنوات من عمر الأزمة السورية تحول خلالها «الحراك السلمي» إلى حرب مفتوحة يمثل الجهاديون ملمحها الأبرز. يكشف أحد الناشطين الفاعلين في بدايات الأزمة عن «دليل ثوري» كان الناشطون يعتمدون عليه في توجيه «الحراك الثوري». المفارقة أن «الدليل» يعتمد على كتاب طبع عام 2006، وتتوافر نسخ إلكترونية منه على كثير من المواقع